

حركة التحرر الوطني كما تنعكس في الأدب العربي اللبناني

بقلم صيغ مرّوه

عضو وفد لبنان

- ١ -

والتطوير والتوسيع ، وطبع جانب منه بطابعهم الفكري والروحي .

على ان مقاومة العرب لهذه الغارة العاصفة ، لم تكن شيئا كبيرا بالقياس الى تلك المقاومة البطولية الضارية التي وقفت نحوها من مئتي سنة بوجه الحملة الصليبية الآتية من الغرب تحت ستار الدين ، ولم يكن للدين منها نصيب سوى اتخاذه وسيلة الى اغراض كانت هي البذور الاولى للاستعمار الغربي في بلاد الشرق ، وكانت هذه الاغراض اقتصادية في جوهرها ، وسياسية وعسكرية في وسائلها .

وجاء الاستعمار التركي العثماني لبلاد العرب ، تحت ستار الدين كذلك ، ورغم اقامته فيها اجيالا طويلا ، لقي اشكالا من المقاومة في بلداننا ولا سيما لبنان واليمن في بعض العهود ، ثم اتسعت مسافة المعركة ضد الامبراطورية العثمانية في اواخر القرن التاسع عشر واولئل القرن العشرين حتى الحرب العالمية الاولى ، بحيث شملت المعركة اكثر اجزاء الارض العربية الاسيوية والافريقية ، الى ان انتهى الاستعمار العثماني ، وحل محله الاستعمار الغربي من جديد ، وافتتحت في بلاد العرب ، ومنها لبنان ، معركة تحررية جديدة ، وتحولت المقاومة ضد الفرنسيين المحتلين في لبنان وسورية بالاضافة الى بلدان المغرب العربي (تونس ، الجزائر ، المغرب) ، وضد المستعمرين الانكليز في مصر وفلسطين والعراق واقطار الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية ، وضد المستعمرين الايطاليين في ليبيا - تحولت المقاومة هذه ، في معظم البلدان العربية ، الى ثورات مسلحة او انتفاضات دموية ، حتى احرز لبنان وشقيقته سوريا استقلالهما الوطني ، في مطالع الاربعينات ، قبل ان تخمد نهائيا نار الحرب العالمية الاولى . وبقيت بلدان عربية كثيرة تكافح الاستعمار القديم بمختلف أشكاله ، حتى اوائل الخمسينات ، اذ قامت الثورة المصرية (٢٣ يوليو ١٩٥٢) ، وما استقرت هذه الثورة ، وتمكنت جذورها من الثبات والتطور حتى اخذ يتحول مجراها الى الكفاح ضد الاستعمار القديم والاستعمار الجديد معا ، وبذلك اخذت الثورة العربية ، بمختلف جبهاتها ، تتحول الى هذا المجرى نفسه : في لبنان ، وسورية ، والعراق اولا . وكانت اواخر الاربعينات قد احدثت ثغرة هائلة في الثورة العربية ، حين تمكنت الصهيونية العالمية ، بمعونة دول الاستعمار العالمي

في مقدمة هذا التقرير لا بد من ايضاح حقيقتين متلازمتين تكمل احدهما الاخرى بحيث تؤلفان - بالنهاية - حقيقة واحدة :

اولا : ان الكلام على حركة التحرر الوطني بالنسبة للبنان ، مرتبط ارتباطا عضويا وتاريخيا بالكلام على حركة التحرر الوطني بالنسبة للبلدان العربية جمعاء . فلبنان بلد عربي لغة وثقافة وتاريخا وجغرافية وتكاملا اقتصاديا ومصيرا . وهو - لذلك - لم يتفرد بدور مستقل تماما في تاريخ الحركة الوطنية التحررية منذ ابعد مراحلها حتى المرحلة الحاضرة ، بل كان دوره دائما متصلا بدور كل بلد عربي آخر ، رغم التفاوت في مستوى هذا البلد العربي وذلك ، وفي هذه المرحلة التاريخية وتلك ، من حيث حجم المشاركة الفعالة ونوعيتها وآثارها في الكفاح التحرري .

ثانيا : انه - بطبيعة ما تقتضيه الحقيقة الاولى - كان الادب اللبناني ، في مختلف مراحل الحركة التحررية ، جزءا من الادب العربي كله ، من حيث انعكاسات هذه الحركة في نتاجه ، شعرا كان أم قصة أم رواية أم مقالة أم مسرحية أم خطابة ، ومن حيث فاعليته في حركة النضال الوطني التحرري اجمالا .

- ٢ -

بعد هذه المقدمة الضرورية ، نشرع في النظر الى تاريخ الكفاح العربي في سبيل الاستقلال والتحرر ، والى تاريخ العلاقة بين حركة التحرر العربية والحركات التحررية في سائر بلدان القارتين : اسية وافريقية ، بل العلاقة بينها وبين حركة التحرر العالمية اطلاقا ، لنخلص من ذلك الى رؤية الادب العربي ، واللبناني بخاصة ، في تجاوبه مع حركة هذا التاريخ الكفاحي الطويل .

معارك الحرية في بلادنا العربية متعددة المراحل ، متعددة الاشكال والصيغ والمضامين ، وفقا لتعدد ظروف العدوان في التاريخ ، منذ القرون الوسطى الى هذه السنوات من القرن العشرين . ولكن رغم هذا التعدد ، كان الهدف دائما واحدا ، هو مقاومة العدوان ، وبالنهاية : امتلاك المصير الوطني بحرية لا يخالطها استعباد ولا اذلال . كان ذلك منذ غارة المغول البربرية التي اجتاحت رقعة واسعة من الارض العربية ، واجتاحت مع ذلك جزءا عظيما من كنوز التراث الثقافي والحضاري الانساني الذي تعهده العرب ، ابان نهضتهم الكبرى بعد الاسلام ، بالاحياء

الشعب الاسيوي الناهض ، وكتب « شاعر النيل » ، حافظ ابراهيم ، قصيدته المشهورة بعنوان « فتاة اليابان » التي عبر بها عن انتهاجه بانتصار اليابانيين يومئذ ، مشيدا بنهضة هذا الشعب الاسيوي .

كان ذلك في الوقت الذي لم تشتعل ، بعد ، فيه ثورة التحرر الافريقية الاسيوية الشاملة المعاصرة . ولكن هذه الثورة ما كادت تظهر في القارتين ، بعد الحرب العالمية الثانية ، حتى اخذت مبادرات التواصل والتفاعل بينها وبين حركة التحرر العربية ، تبرز بصورة متنوعة كان أبرزها تلك الصورة التي تبدو ملامحها واضحة في ادبنا العربي الذي كان يتأثر بكل انتفاضة وطنية تحريرية في بلدان القارتين . فقد تغنى الابداء العرب ، مثلا ، بانتفاضة الشعب الهندي ضد الاستعمار البريطاني ، أيام زعامة غاندي ، اذ ظهر الكثير من قصائد الشعر العربي ، في لبنان والعراق ومصر وسورية ، وظهر الكثير من المقالات والقصص في تمجيد هذه الانتفاضة . وكذلك تأثر الادب العربي ، ومنه اللبناني ، بحروب التحرير الاسيوية الافريقية كلها ، ولا سيما حرب فيتنام البظلة في الوقت الحاضر .

وحين ظهرت أولى مبادرات التضامن بين شعوب القارتين في مؤتمر « نيودلهي » عام ١٩٥٤ ، كان الشعب العربي ممثلا في هذا المؤتمر الاول بمصر الثورة (ثورة ٢٣ يوليو) ، ثم جاء مؤتمر « باندونغ » عام ١٩٥٥ ، فاذا الشعب العربي يتمثل فيه بشكل أوسع فأوسع ، وكان وطننا لبنان بين البلدان العربية التي شاركت في هذا المؤتمر الذي كان الانطلاقة الكبرى لحركة تضامن شعوب القارتين الثائرتين ، ومن ذلك الحين اندمجت حركة التحرر العربية اندماجا عضويا في حركة التحرر الافريقية الاسيوية ، اذ أصبحت عضوا دائما وفاعلا في مختلف المؤتمرات والاجتماعات التي عقدتها حركة التضامن الافرو اسيوية ، من المؤتمر الاول للقانونيين الافريقيين الاسيويين عام ١٩٥٧ ، الى المؤتمر الاول لتضامن شعوب القارتين في ديسمبر من العام نفسه ، والسى المؤتمر الاول للكتاب الافريقيين الاسيويين في طشقند عام ١٩٥٨ ، ثم المؤتمر الثاني في القاهرة عام ١٩٦٢ ، والمؤتمر الاول للشباب الافرو اسيوي عام ١٩٥٩ الخ . . .

- ٤ -

هذا عرض تاريخي سريع لمراحل الكفاح الوطني العربي في العصر الوسيط وفي العصر الحديث ، ولمراحل التلاقي والاندماج العضوي بين كفاح العرب وكفاح شعوب القارتين الثائرتين ، فكيف كان انعكاس هذا الكفاح في الادب العربي بعامة ، وفي الادب اللبناني بخاصة ؟ اذا نحن رجعنا ، من جديد ، الى تاريخ النضال العربي في سبيل الحرية ، لنقف عند كل مرحلة من مراحل ، وعند كل جبهة من جبهاته ، وجدنا مكان الادب العربي والادباء

الكبرى والفئات الرجعية العربية الحاكمة ، من تشريد الشعب العربي الفلسطيني من أرضه ووطنه واقامة اسرائيل في فلسطين قاعدة للاستعمار بشكليه القديم والجديد ، وانفتحت بهذه الثفرة جبهة جديدة في الثورة العربية . ثم ما كادت تنتهي الخمسينات حتى اتخذت الثورة العربية مضمونين متداخلين : مضمونا تحرريا وطنيا ، ومضمونا تحرريا اجتماعيا . بدأ هذا التحول في مضمون الثورة العربية منذ أعلن جمال عبد الناصر ، تأميم قناة السويس ، وما تلاه من احداث العدوان الاستعماري الصهيوني على مصر عام ١٩٥٦ ، وانتفاضة الشعب اللبناني ضد مبداء ايزنهاور عام ١٩٥٨ ، وثورته ١٤ تموز العراقية في العام نفسه .

هكذا اتصل تاريخ الكفاح التحرري العربي قديمه وحديثه ، وهكذا كانت تتعدد جبهاته ، مرحلة فمرحلة ، ولكن معركة الحرية بقيت ، في بلاد العرب كلها ، معركة واحدة ، مترابطة ، متواصلة ، متعاونة ، لا تنفصل منها جبهة عن جبهة ، ولا يكافح خلالها شعب عربي منفصلا عن سائر الشعوب العربية .

- ٣ -

لم تكن الثورة العربية هذه ، يوما قط ، في معزل عن الثورة التحررية العالمية ، ولا سيما الثورة الافريقية الاسيوية التي لا تزال في امتدادها وتطورها العاصفين . لقد كانت حركة التحرر العربية ، بمختلف مراحلها وتطوراتها ، على صلة بتيارات التحرر العالمية ، منذ بدأت تهب هنا وهناك ، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر حتى هذه السنوات من النصف الثاني للقرن العشرين . أما الثورة التحررية في القارتين الافريقية والاسيوية اللتين تدخل البلاد العربية في خارطتهما معا ، فكان التفاعل بينها وبين الثورة التحررية العربية قائما وناميا باستمرار حتى أيامنا هذه .

ومن المصادفات التاريخية ذات المغزى الواقعي ان اول تعبير عن هذه الصلة الطبيعية بين حركة التحرر العربية من جهة وحركة التحرر الافريقية الاسيوية من جهة ، انما ظهر في الادب العربي ذاته قبل ان يظهر بأي شكل اخر من اشكال التضامن بين الحركتين . مثلا : حين كانت حرب البوير دائرة بين شعب افريقي يدافع عن حريته في أرضه وبين اوروبيين مستعمرين يشهرون السلاح في وجه هذا الشعب الافريقي المناضل ، كان هناك في القاهرة كاتب لبناني ، هو فرح انطون ، يكتب في مجلته « الجامعة » الصادرة في القاهرة يومئذ ، سلسلة مقالات ينتصر فيها لشعب البوير ضد المستعمرين الاوروبيين . كان ذلك في اواخر القرن التاسع عشر . وحين نشبت الحرب بين اليابان وروسيا القيصرية عام ١٩٠٥ ، وكانت اليابان الاسيوية تقاوم الجيش القيصري ببسالة وتنتصر عليه ، بادر الابداء العرب الى التعبير عن موقف التضامن مع

وسعيد عقل ، وعبد الكريم الخليل ، وعمر حمد الخ . .
قبل الحرب العالمية الاولى وبمدها نبغ في لبنان
أدباء يحملون راية التحرر من الاقطاعية السياسية
والطائفية والاجتماعية ومن الاستبداد والظلم بمختلف
اشكالهما ، أمثال جبران خليل جبران ، وأمين الريحاني
الذي هتف بالجماهير العربية قائلا :

« ان أنوار العالم القديم على وشك الانطفاء كلها ،
فتيقظوا وراقبوا المصايح الجديدة ، وسيروا في مقدمة
المستنيرين بأنوارها » ، وهو امين الريحاني - الذي
فضح عيوب الديمقراطية الاميركية المزيقة بوضوح وجراة
ومنطق . ثم يأتي من أصوات الادباء اللبنانيين المهاجرين
في اميركا الشمالية صوت ميخائيل نعيمة الذي اكتوى
بنار الحرب وعرف فجائعها بنفسه ، حاملا أناشيد السلام
والحرية .

وعرف لبنان في تلك المرحلة ذاتها شعراء تغنوا ،
في شعرهم ، بمطامح شعبنا التحررية أمثال امين
ناصر الدين ، وامين تقي الدين ، وعادل أرسلان ، وأديب
مظهر ، وبشارة عبد الله الخوري ، والشيخ سليمان ظاهر
الى جانب جماعة من المفكرين العاملين في حقل النهضة
السياسية والاجتماعية والفكرية أمثال عبد الحميد
الرافعي ، والشيخ أحمد رضا ، والشيخ أحمد عارف الزين
صاحب مجلة « العرفان » ، وعارف النكدي ، والشيخ
حسن الاسير ، والشيخ مصطفى الغلايطني ، ونقولا فياض ،
والشيخ أحمد عباس الازهري وغيرهم . .

- ٥ -

في سياق تاريخ النهضة العربية الحديثة ، قبل
الحرب العالمية الاولى وبمدها ، عرفنا الحركة الادبية
والثقافية تنطلق من واقع الحركة الوطنية التحررية . بل
يصح القول ، بكثير من اليقين ، ان النهضة الادبية كانت
فاعلة في الحركة الوطنية أكثر منها منفعة بها ، وقد
لا نكون بعيدين عن الحقيقة اذا قلنا ان أهل الادب والفكر
كانوا هم قادة تلك الحركة وروادها الاوائل . فان معظم
الذين أسهموا في الحركة السياسية وفي الجمعيات السرية
العامة في سبيل تحرير البلاد العربية من الاستعمار التركي
العثماني ، كانوا من قادة النهضة الفكرية والادبية .
وبالرغم من ان هؤلاء القادة الاحرار كانوا ينتمون الى عدة
بلدان عربية ، فان اللبنانيين منهم كانوا كثيرين بنسبة
عالية .

والملاحظ ان حركة الادب العربي بصورة عامة
واللبناني بصورة خاصة ، كانت في تلك المرحلة وما سبقها ،
تعبّر عن مطامح الحرية لدى الشعب العربي بطريقة عضوية
وعاطفية ، يغلب على بعض اقطابها طابع رومانطيقي ، ولكنه
منبثق من احساس هؤلاء الاقطاب بما يتحرك في أعماق
النفس العربية الجماهيرية من تطلعات الى الخلاص من
الكاپوس الاستعماري الطويل الامد ، والى الانتفاضات

العرب ، ومنهم أدباء لبنان ، يبرز في قلب المعركة وعلى
جناحيها دائما ، ولو ان مجال هذا التقرير يتسع للسرد
والتفصيل لرأينا مع كل مرحلة ومع كل جبهة وكل حدث
نضالي أدبا عربيا يحمل طابع النضال في هذه المرحلة وهذه
الجبهة وهذا الحدث ، ولرأينا أيضا تضامنا عفويا بين
أدباء البلاد العربية في التعبير المشترك عن كل نضال وطني
يبرز في هذا البلد العربي أو ذاك ، تدل هذه الظاهرة على
شعور تلقائي عفوي عند هؤلاء الادباء ، من أي بلد عربي
كانوا ، بأن انتماءاتهم الاقليمية ليست الا انتماءات جزئية
بالنسبة الى الانتماء الكلي العربي المشترك بينهم جميعا .
لن نرجع الى تاريخ بعيد . يكفي أن نبدا من النقطة
التي انطلقت منها ، في النصف الثاني من القرن التاسع
عشر ، حركة النهضة الفكرية العربية التي كانت هي ،
بدورها ، منطلق الكفاح العربي التحرري في العصر
الحديث .

ان لهذه النهضة الفكرية قصة تبدأ منذ بدات
السلطات الحاكمة ، وهي سلطات استعمارية أجنبية في
أكثر الاحيان ، تصب نار حقدتها الاسود على أول مفكر
عربي هتف باسم الحق والحرية . كان تلامذة جمال الدين
الافغاني المنتشرون في معظم الاقطار العربية ، حيثذاك ،
من أكبر حلقات هذه القصة وأبرزها ، وفيهم المسلم
والمسيحي ، وفيهم المصري والسوري واللبناني والعراقي . .
ومن هذه القافلة الفكرية والادبية المناضلة : الشيخ محمد
عبده ، قاسم أمين (مصر) ، عبد الرحمن الكواكبي
(سورية) ، فرح أنطون ، أديب اسحق (لبنان) .

ويستمر الموكب الطويل في مسيرته الكفاحية ،
وتلمع في سجل النضال التحرري أسماء جديدة من أهل
الفكر والادب في كل مرحلة ، فهذا الشاعر محمود سامي
البارودي يظهر مع ثورة عرابي في مصر ، والشاعر حافظ
ابراهيم مع ثورة مصر أيضا سنة ١٩١٩ ، وأحمد شوقي
مع أحداث الكفاح العربي أينما حدثت ، والزهاوي
والرصافي والشبيبي (العراق) مع كل انتفاضة عربية
أينما كانت ، وخليل مطران (لبنان) مع مطامح التحرر
في أي مظهر عربي ظهرت .

وفي الفترة الاولى من هذه النهضة الفكرية التحررية ،
سطع في أرض لبنان أسماء مفكرين مكافحين احرار ، أمثال
المعلم بطرس البستاني الذي كافح الفتنة الاستعمارية
الطائفية عام ١٨٦٠ ، وأحمد فارس الشدياق الذي أنار
طريقا واضحا للنضال بوجه المستبدين ، والى جانبهما
طلیعة فكرية وادبية وضعت للثقافة العربية الحديثة
أسسها الوطنية المتحررة من المقد الاجنبية .

وإثناء الحرب العالمية الاولى ترتفع على أعواد المشانق ،
في ساحات بيروت ودمشق ، اعناق شهداء العرب من
اللبنانيين والسوريين المناضلين في سبيل استقلال البلاد
العربية عن الامبراطورية العثمانية ، ومعظم هؤلاء الشهداء
من المفكرين والكتاب والشعراء ، أمثال الشيخ أحمد طبارة ،

الفجائية التي ينتظر منها أن تحقق الخلاص ذات حين .
وحين ظهرت الحركات العربية المسلحة ضد السلطة
العثمانية ، أثناء الحرب الكبرى الاولى ، في الحجاز ثم
العراق ، ثم سورية ، شارك فيها أدباء ومثقفون أخذت
تبرز في أعمالهم الادبية روح الثورة بصورة جديدة ، وكان
منهم في لبنان شعراء وكتاب ورجال صحافة شاركوا في
أعمال مادية ملموسة ، وقد اشرنا الى بعضهم في ما سبق .

- ٦ -

في فترة ما بين الحربين العالميتين ، الاولى والثانية ،
تغيرت صورة الكفاح التحرري العربي الى كفاح المستعمر
الجديد ، الفرنسي والبريطاني والاطالي ، فنبت في الارض
العربية ادب جديد خلقته المعركة الجديده التي قابلت
الغرب الاستعماري وجها لوجه ، اذ نشأ في لبنان مثلاً
أدباء من الشبان تحركت مواهبهم الادبية على صدى
النضالات العربية هنا وهناك ، وهزت مشاعرهم الوطنية
أصداء الثورة السورية المسلحة ضد الفرنسيين عام
١٩٢٤ - ١٩٢٥ . ولكن اشتداد الارهاب الاستعماري
الفرنسي في لبنان ، بعد الفشل الذي أصيبت به تلك
الثورة الباسلة ، جعل ادب هؤلاء الشبان يعاني الكبت
والتمزق الداخلي ، ويستخدم أحياناً أساليب الرمز
والايماء لتحايل على السلطات الاستعمارية .

في هذه المرحلة برز كاتبان لبنانيان من طراز خاص ،
كلاهما ساخر ، وكلاهما مشبع الفكر والذوق بثقافة عربية
وتقافة غربية فرنسية ادبية ، وكلاهما متصل بجذور
شعبية عميقة ، أحدهما مارون عبود ابن القرية الجبلية ،
وتانيهما عمر فاخوري ابن أحد الأحياء الشعبية المعارضة
للاحتلال الفرنسي في العاصمة بيروت . مارون عبود
كاتب مجد روح الاستقلال في شعب الريف اللبناني .
وعمر فاخوري بدأ عهده الادبي في عزلة عن حركة الجماهير
الشعبية ، ثم ارتبط بهذه الحركة أثناء الحرب العالمية
الثانية ، والتزم الادب الكفاحي بوعي وحرارة وصدق حتى
صار صاحب مدرسة في الادب السياسي التحرري الرفيع
المستوى من الوجهة الفنية . وظهر بين الكاتبين نشاط
ادبي متجدد الفكر والروح والاسلوب على أيدي جماعة
سموا أنفسهم بـ « عصابة العشرة » كان بينهم الشاعر
المبدع الياس أبو شبكة الذي لم تستطع نزعتة الرومانطيقية
أن تقضي على توثبه الوطني ، فكتب الى جانب أشعاره
الدائية أشعاراً تغنى بالحرية ، وترمز الى مطامح الشعب
في التحرر والكرامة الوطنية .

أثناء هذه المرحلة بين الحربين ، كانت تعبر من وراء
المحيط الاطلسي ، من بعض بلدان اميركا اللاتينية ، الى
بلاد العرب ، والى لبنان بالخصوص ، قصائد مشحونة
بالعواطف الوطنية التحررية ، تمجد الثورة العربية ،
وتقدف حمم الغضب والحقد النبيل على المستعمرين

وأعوانهم المحليين ، من رجعيين وانتهازيين . كانت قصائد
« الشاعر القروي » ، وهو رشيد سليم الخوري ، المهاجر
من وطنه لبنان الى البرازيل ، نموذجاً حياً لتلك الاناشيد
الحارة العابرة من وراء المحيط . وفي الوقت نفسه كان
في لبنان فريق من الكتاب والادباء التقدميين أمثال
الناضل فرج الله الحلو والشاعر رؤيف خوري ، يشاركون
في حركة المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي في
سبيل استقلال لبنان والبلدان العربية الاخرى . في حين
كان الشاعر الجواهري في العراق ، وخير الدين الزركلي
في سورية ، وابراهيم طوقان في فلسطين ، وأمثالهم في
مصر والسودان ، يثيرون بقصائدهم الوطنية حماساً
الجماهير العربية في كل قطر من أجل القضية المشتركة .

لا ندعي ان الادب في لبنان كان كله نضالياً يعكس
حركة التحرر الوطني الشعبية ، بل كان هناك صراع بين
نوعين من الادب ، في هذه المرحلة الهامة : نوع يخوض
المعركة الى جانب الشعب ، ونوع يعتزل المعركة بمختلف
الاعذار والمبررات . ولكن المعركة ذاتها فجرت ادباً كفاحياً
ناشئاً في المناطق اللبنانية وفي العاصمة ، اذ ظهر مثلاً
اسم الشاعر موسى الزين شرارة وعبد الحسين عبد الله
الحوماني في جنوب لبنان ، واسم عمر الراقعي وسابا
زريق في شماله ، واسم اديب الزهيري في بيروت ،
وأمثالهم .

- ٧ -

في اخريات الحرب العالمية الثانية ، في الاربعينات،
كانت الحركة الوطنية الاستقلالية تنضج وتقوى وتمتد في
لبنان ، كما في سائر بلاد العرب . وتعاقت الأحداث الهامة
على هذا الصعيد . ففي ما بين ١٩٤٣ و ١٩٤٥ انتصر
لبنان وسورية على المستعمرين وحلفائهم في معركتي
الاستقلال والجلء العسكري الاجنبي ، وشارك الادب هنا
في النضال المنتصر ، وظهر بين الادباء الوطنيين اسم الشيخ
عبد الله العلايلي ، والبير اديب صاحب مجلة « الاديب »
التي جمعت حولها ، ذلك الحين ، فريقاً كبيراً من الادباء
الوطنيين ، الى جانب عمر فاخوري ورؤيف خوري اللذين
تقدم ذكرهما ، وكان قد ظهر اسم الدكتور جورج حنا ،
والدكتور عمر فروخ ، والدكتور علي سعد ، وعبد اللطيف
شرارة ، ومنير تقي الدين في كتابه « بين الاحتلال
والاستقلال » ، ومحمد النقاش .

وفي عام ١٩٤٨ حدثت المؤامرة الاستعمارية التي
أنشأت اسرائيل قاعدة للاستعمار العالمي في قلب البلاد
العربية ، فلسطين . أثارت هذه المؤامرة الرهيبة موجة
جديدة من التفجرات الادبية في قلب المعركة الجديدة .
فلما جاءت الخمسينات كان في لبنان صف طويل من الادباء
الوطنيين القدامى والجدد الذين دخلوا المعركة هذه .
لقد حملت الخمسينات الى العالم العربي أحداثاً

لقد تطورت فكرة مؤتمرات الادباء العرب ، اذ تخلصت من الترددات الليبرالية والانعزالية ، وانصهرت في حركة التطور الوطني العربي والعالمي معا ، بفضل تطور الاحداث الوطنية والعربية ، لا سيما تطور الثورة المصرية (ثورة ٢٣ يوليو) بمواقفها الحازمة الحاسمة تجاه الاستعمار والاستعمار الجديد ، وبفضل نهوض الحركة الديمقراطية الوطنية في سورية بعد عام ١٩٥٤ .

في ضوء هذه الاحداث انعقد المؤتمر الثاني للادباء العرب في مصيف « بلودان » بسورية (سبتمبر ١٩٥٦) . فكانت طبيعة القضايا التي عالجها انعكاسا حقيقيا للتطورات العربية بعد عامين اثنين من انعقاد المؤتمر الاول . لكننا الزمن مشى جيلين كاملين بين مؤتمر بيت مري في لبنان ومؤتمر بلودان في سورية . فقد جاء المؤتمر الادبي الثاني ليؤكد ان التلاحم بين حرية الاديب وحرية شعبه أصبح قضية بديهية لا جدال فيها ، وليؤكد أيضا ان قضية العرب ووحدة النضال التحرري العربي قد تجمعت لها أسباب الوضوح والتكامل . ذلك ان هذا المؤتمر جاء في الوقت الذي تعاقبت فيه الاحداث العربية ، في مصر والسودان ، وفي الاردن وسورية ولبنان ، وفي معارك النضال البطولي في المغرب العربي ، وفي الجزائر بالخاص ، ثم في جنوب الجزيرة العربية وشرقها . جاء هذا المؤتمر وقد تكاملت الوحدة الشعورية النضالية بين الشعوب العربية ، فانصهرت فيها الخلافات والاتجاهات والمذاهب الفكرية والادبية والاجتماعية والسياسية ، عدا بعض الانحرافات الرجعية والانتهازية . . كان التمثيل واسعا وشاملا في هذا المؤتمر ، وكان الكتاب الوطنيون والتقدميون مشاركين فيه بفعالية بارزة ، واصدرت مجلتان لبنانيتان هما « الآداب » و « الثقافة الوطنية » عددان خاصين بالمؤتمر . وقد نوه وزير المعارف السورية يومئذ بكلمته أثناء افتتاح المؤتمر بمواقف لبنان الوطنية ، قائلا : « فمن لبنان العربي انبعثت انوار النهضة العربية الاولى ، وسيظل لبنان العربي مصباحا من مصابيح الفكر » .

عالج المؤتمر قضايا شاملة منسجمة مع قضايا التحرر الوطني الشامل يومئذ في حياة العرب ، واصدر توصيات هامة تؤكد هذا الانسجام ، ووجه نداء عاما الى الادباء والمفكرين في العالم يهيب بهم ان يقفوا مع ادباء العرب في نضال امتهم العادل من اجل اعادة الارض المفتصبة الى الشعب العربي المشرود عن فلسطين ، ومن اجل وقف حرب الابادة الاستعمارية في الجزائر (قبل استقلال الجزائر) ، ومن اجل تحرير بقية اجزاء البلاد العربية ، ومن اجل ان تواصل الامة العربية العريقة مساهمتها الفعالة والمثمرة في اثناء الحضارة والمعرفة الانسانية .

وانعقد المؤتمر الثالث للادباء العرب (ديسمبر ١٩٥٧) في القاهرة ، اذ جدد ظروف جديدة مشحونة

- التتمة على الصفحة ١١١ -

كبيرا هزت مشاعر الكتاب والشعراء اللبنانيين ، كغيرهم من الادباء العرب ، وايقظت فيهم وعيا جديدا لابعاد المعركة وآفاقها . وكان من نتاج ذلك ان تنادى الكتاب العرب ، من كل اقطارهم ، الى التجمع والتكتل في مؤتمرات واسعة النطاق . حدث ذلك لأول مرة في تاريخ الادب العربي المناضل . كان التلاقي بينهم قبل هذه المرحلة يتخذ صورته العفوية وحدها . أما في الخمسينات فقد اتخذ صورة واعية تقصد الى التنظيم الواعي . بدأ التجمع على هذه الصورة عام ١٩٥٤ ، اذ انعقد مؤتمرات اثنان في هذا العام نفسه : أحدهما « مؤتمر الادباء العرب الاول » الذي انعقد في المصيف اللبناني « بيت مري » ، وكانت قضية « الحرية » الموضوع الاول والاهم الذي عالجه هذا المؤتمر ، ولكن المعالجة كانت متناقضة الاتجاهات ، بين ليبرالية ذات نزعة اكااديمية خالصة تتعمد الابتعاد عن أحداث الواقع العربي وتطوراته السياسية والاجتماعية ، وبين اتجاه وطني تحرري . ولكن برغم هذا التناقض بين الاتجاهين ، استطاع فريق من الكتاب الوطنيين اللبنانيين والسوريين وغيرهم ، ومنهم الدكتور سهيل ادريس الكاتب الروائي اللبناني ، والدكتور كامل عياد المفكر التقدمي السوري ، ان يوجهوا روح المؤتمر ، وسط الصراع العنيف ، وجهته الوطنية الى الحد الممكن ، واصدرت مجلة « الآداب » اللبنانية التي كان الدكتور ادريس اخذ أصحابها يومئذ (استقل بها منذ عام ١٩٥٥) - اصدرت عددا خاصا بأعمال المؤتمر أبرز الجانب الوطني الايجابي منه .

أما المؤتمر الاخر الذي انعقد في العام نفسه (١٩٥٤) بمبادرة من « رابطة الكتاب السوريين » ، فقد انعقد باسم « مؤتمر الكتاب العرب » في دمشق ، وحضره نحو اربعة وعشرين كاتباً ومفكراً واديباً من لبنان ، في مقدمتهم المفكر الاديب الكبير الشيخ عبد الله العلايلي ، والكاتب القاص الناقد مارون عبود ، والشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة « العرفان » اللبنانية الوطنية ، والدكتور علي سعد الشاعر الناقد ، وبينهم الشاعر الفنان رضوان الشهبال ، والدكتور علي شلق ، والكاتب احمد سويد ، والشاعر حبيب صادق ، والقاص محمد عيتاني ، والقاص محمد دكروب ، وكاتب هذا التقرير وغيرهم .

تضمن جدول أعمال هذا المؤتمر ثلاثة اقسام : أدبي ، وسياسي ، وتنظيمي . تناول القسم الادبي : قضية الادب الجديد وتحديد معنى الجمالية والواقعية فيه ، وموقف الادباء من التيارات الفكرية المختلفة ، وتحقيق التاريخ العربي وفق المنهج العلمي ، والدفاع عن الثقافة الوطنية ضد الثقافة الاستعمارية وغير ذلك . وتناول القسم السياسي : قضية الحرية وعلاقتها بالفكر ، حرية الراي والنشر والاجتماع ، والدفاع عن الكتاب العرب ضد الاضطهاد ، وموقف الادباء من القضايا الوطنية والعالمية وقضية السلام العالمي .

حركة التحرر الوطني اللبناني

- تنمة المنشور على الصفحة ١١ -

بطاقات ثورية عربية وعالمية ضخمة كانت فيها حركات التحرر الوطني الافرو اسيوية تتعاطم وتحقق انتصارات رائعة ، وكانت مصر قد خرجت من معركة قناة السويس ظافرة ، حتى صارت مركزا من اهم مراكز الكفاح التحرري لا في بلاد العرب وحدها ، بل فسي القارتين الناهضتين جمعا . لذلك سجل المؤتمر الثالث هذا نجاحا باهرا في معالجة قضايا الثقافة والادب في ضوء الاحداث العربية والعالمية ذات الصلة بكفاح شعوبنا ضد الاستعمار والاستعمار الجديد .

وفي هذا المؤتمر شارك ادياء لبنان بمثل الحيوية الكفاحية نفسها في ما سبق من مؤتمرات ، وشاركت بابرار اهميته صحافة لبنان الادبية (مجلة «الاداب» للدكتور سهيل ادريس ، ومجلة « الثقافة الوطنية ») .

- ٨ -

اثناء معركة قناة السويس ضد العدوان الاستعماري الصهيوني المثلث (نوفمبر ١٩٥٦) ، فتح الكتاب اللبنانيون الوطنيون جبهة كاملة في لبنان تضامنا مع الشعب المصري وثورة ٢٣ يوليو وقيادتها المناضلة . لقد تنادوا الى اجتماعات في دار مجلة « الاداب » حضرها كتاب وفنانون من مختلف البلدان العربية ، ووجهوا الى جميع الكتاب والمثقفين والفنانين في جميع أنحاء العالم نداء يطالبون منهم تأييد القضية العربية المتمثلة يومئذ بقضية مصر المكافحة ضد العدوان ببسالة مشهودة ، وتابع الكتاب اللبنانيون الدعوة الى نصر الكفاح المصري بكتاباتهم في الصحافة اللبنانية السياسية والادبية .

- ٩ -

وثب الشعب اللبناني ، عام ١٩٥٨ ، وثبة وطنية تحررية مسلحة ضد مبدأ ايزنهاور والحكام الذين ارادوا يومئذ ربط مصير لبنان بارادة الاستعمار الاميركي وقواعده العسكرية وأحلافه الحربية العدوانية . كان الادياء اللبنانيون الوطنيون ، طوال شهور الوثبة هذه ، في قلب المعركة مع شعبهم ، يشاركون بالسلاح والاقلام والاذاعة الخاصة بالحركة الوطنية ، وكان بعضهم يكتب يوميا في الصحافة اليومية المؤيدة للوثبة ، يعكسون مطامح الحرية في جماهير المعركة ، وينيرون اذهان المناضلين بالوعي ويشمدون سواعدهم للثبات .

كانت جماهير المعركة تطالع كل صباح كلمات الوطنية

الواعية من اقلام : سهيل ادريس ، منير بعلبكي ، أحمد سويد ، امين الاعور ، محمد النفاش ، كامل العبد الله ، محمد عيتاني ، محمد ذكروب ، حسين مروة وغيرهم ، وكان الكتاب المفكر المناضل كمال جنبلاط على رأس جبهة مسلحة من جبهات المعركة في منطقتة .

لا بد من القول اخيرا ان الاسماء الادبية التي ذكرت خلال هذا التقرير ، لم تذكر الا على سبيل المثال ، فهناك اسماء غيرها كثيرة يصعب حصرها .

- ١٠ -

في السنوات التي انقضت حتى الآن من الستينات ، دخلت حركة الادب في لبنان عوامل جديدة ، في ظروف التطور الجديد الذي بلغته حركة النضال التحرري العربي ، اذ تداخلت في هذا النضال مرحلتا التحرر الوطني والتحرر الاجتماعي ، وحدثت تحولات اساسية في التفكير العربي تبعا للتحولات الثورية في كل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية ، والجمهورية الجزائرية المستقلة ، وجمهورية ١٤ تموز العراقية ، وثورة اليمن الجمهورية ، بالاضافة الى تطور حركة التضامن الافرو اسيوي والبلدان النامية في القارتين الناهضتين ، وقضية فيتنام الياصلة في كفاحها العدوان الاستعماري الاميركي السافر ، وتطور التضامن العالمي في سبيل مناهضة العدوان ومن اجل حرية الانسان وسلام العالم وصيانة الحضارة البشرية .

لقد اتجه الادب في لبنان ، خلال هذا التطور كله ، الى الالتزام بقضايا الانسان المصيرية الكبرى ، وانضوى الى الدفاع عن هذه القضايا كثير من الكتاب والشعراء الموهوبين والبارزين ، نذكر في طليعتهم الشاعر ادونيس . لقد نال عقيد المؤتمر الثالث للكتاب الاسيويين الافريقيين في بيروت عاصمة لبنان ، نوعا من الترحيب الاجماعي لدى الكتاب والمفكرين والمثقفين اللبنانيين ، ونالت اللجنة التحضيرية اللبنانية المعونة والتأييد من مختلف الاوساط الفكرية والادبية والثقافية والصحافية في لبنان . وليس تأييد الدولة اللبنانية ومساعداتها الهامة في سبيل عقد المؤتمر في عاصمتنا ، الا انعكاسا لهذه الحقيقة التي نذكرها باعتزاز .

ان المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين ، بانعقاده في هذه العاصمة الجميلة العريقة ، سيزيد من توثيق اللحمة الروحية بين قضايانا المصيرية المشتركة ، وسيفتح آفاقا مشرقة لانتصارات ادبية وفكرية وثقافية مستمدة من انتصارات شعوبنا في سبيل الحرية والسلام والتقدم .

حسين مروة